مقياس النقد الأدبي الحديث

النقد النفسي

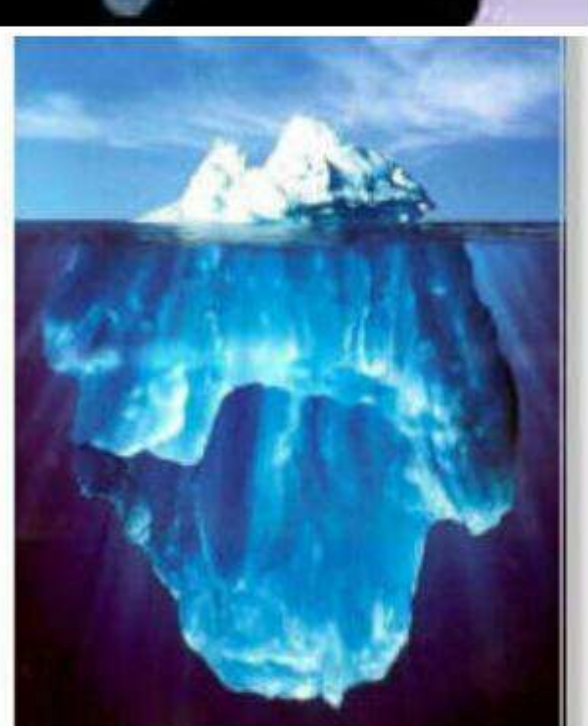
السنة الثانية - دراسات أدبية ونقدية -



العقل الواعي
مساحته 10%

العقل اللاواعي
مساحته 90%

@Mudi_sa



في الحقيقة، أنا لست
رجل علم ولا ملاحظ ولا
صاحب تجارب أو مفكر،
أنا مجرد رجل مغامر.

سيجموند فرويد

- أسرف النقد الاجتماعي في ربط الأدب بالواقع حتى أصبح نسخا منه ومصدرا وحيدا للإلهام عند المبدعين، والربط بين الأدب والنفس الانسانية قديم أشار إليه أرسطو في مفهوم التطهير عنده، بينما طرد أفلاطون الشعراء من جمهوريته لأنهم يؤججون العواطف ويسحرون الأرواح.
- حاول نقادنا العرب الحديث عن علاقة الأدب بالنفس، فابن قتيبة تتبع البواعث النفسية في الشعر، وحصرها في الباعث الشعوري كالغضب والطرب والشوق، أما القاضي الجرجاني أرجع الملكة الشعرية إلى عوامل مختلفة كالطبع والرؤية والذكاء، وأرجع الاختلاف إلى طبائع الشعراء، فحسن الخُلق يكون سلس الكلام، والجافي الجلف يكون خشن الألفاظ ...

لماذا ينتحر المبدعون ؟

- **الرسام الهولندي فينسنت ويليم فان خوخ ت 1890 قطع أذنه وانتحر بعد عامين . بينما أنهى الرسام النرويجي إدوارد مونش حياته في مصحة نفسية ت 1944، والروائي الأمريكي إرنست ميلر همينغوي ت 1961 كان يعاني من اضطرابات عقلية و أطلق النار على نفسه، والروائية الانجليزية أدالاين فيرجينيا وولف ت 1941 أصيبت بحالة اكتئاب فانتحرت غرقا.**
- **يمكن أن تصبح المشاكل النفسية والعقلية جزءا من الهوية الشخصية للفنانين، إذا واجهوا احتمالات التحسن فقد يتساءلون عن هوياتهم، أو كينونتهم من دون مشاكلهم، وربما يخشون أن يتلاشى الإبداع مع تلاشي الألم النفسي.**
- **وربما يكمن سبب الانتحار هو الرغبة في صنع أسطورة شخصية تشبه أساطير وحكايات الفنانين السابقين، إلى التأكيد على المرض النفسي والخوف من تلاشي الإبداع مع تلاشيه.**

المنهج النفسي

- بدايات المنهج النفسي كانت مع الطبيب النمساوي سغموند فرويد Sigismund Freud (ت 1939) وتلميذه السويسري غوستاف يونغ Carl Gustav Jung (ت 1961)، وبظهورهما ارتبط الأدب بعلم النفس، وأصبح النص الأدبي عبارة عن رد فعل الكبت المتحكم في الانسان وفي تصرفاته، فالإبداع هو صورة لعقدة نفسية يجب علاجها، وهذه العقد المكبوتة عصية عن الفهم حتى عند الكاتب نفسه.
- استفاد فرويد من النصوص الأدبية ليؤكد لنا أن عالم النفس البشرية غامض لا يدرك لا بالحواس ولا بالبحث العلمي، ويمكن للكتابة والكلام والأحلام أن تكشف لنا هذه الأسرار، فالحُلم والأدب عند فرويد متقاربان، ولهما نفس المهمة وهي تفريغ الكبت الذي يؤرق الإنسان ويقلقه ويخيفه.
- يكون المبدع تحت تأثير دوافع كثيرة مختلفة داخل عالمه اللاشعوري، وبمجرد تمام الكتابة يزول عنه ذلك الكبت والتأجيج للمشاعر والعواطف، ويستعيد الكاتب توازنه النفسي ليهتم بإعادة تشكيل النص تشكيلا مبدعا خلّاقا.

مفهوم النقد النفسي

- النقد النفسي هو الذي يربط الأدب بعالم النفس الداخلي الخفي، ويفسر النص تفسيرا نفسيا، ويحاول تتبع الأمراض النفسية والعقد المكبوتة في لاشعور المبدع ويحاول علاجها، وما العالم الداخلي للنفس إلا صورةٌ للعالم الخارجي ورموز له، فالحلم يتيح لك أن ترى ما لا تراه العين، حيث تتحادث الألوان وتتهادى الأصوات أنغاما موسيقية وتتحدث العطور، وكل هذا الزخم سببه ازدواجية الذات الحالمة بين الذات الواقعية والذات الضبابية.
- منذ ترجمة أعمال فرويد - إلى الفرنسية والإنجليزية كـ : ثلاث مساهمات في نظرية الجنس، تفسير الأحلام، هاملت بمنظور فرويدي- وجد النقاد في أعماله مفتاحا للعمليات الفنية وللمفاهيم اللاواعية عند الفنانين، وقد صور فرويد الانسان كضحية للمحيط أو لعلم الأحياء، أو للكبت الذي يفرضه المجتمع عليه، فالإنسان مريض قبل أن يكون نذلا، وهو مغفل تخدعه قوى الطبيعة دون أن يشعر، ومن خلال التحليل النفسي يمكننا تفسير جنون الكثير من الرمزيين الفرنسيين.

- **الأدب في النقد النفسي هو شيء آخر غير هذا الجسد الذي يجري تحنيطه كثيرا أو قليلا، فهو ذلك الخطاب الفريد الذي نطلبه على أمل أن يكون نافعا رائعا، ونفعه الحقيقي يكمن في إمتاعنا، وروعته في بقائه غير صالح للاستعمال بقصد الاستمرار في الحياة، ولأنه خطاب زائف لا ينقل الواقع، هنا يكمن سحره ومأساته وحظه العجيب.**
- **لا يمكننا اختزال الروائع الأدبية في نقل رسالة تحمل معنى واحدا واضحا، فالكاتب يتحدث من دون علمه عن أشياء لا يعرفها بدقة، والقصيدة تعرف أكثر من الشاعر، وإذا كان المعنى فائضا داخل النص، فإن هناك في مكان ما نقصانا في الوعي، والحدث الأدبي لا يحيا إلا إذا كان يبطِّن قليلا من فقدان الوعي أو جزءا من اللاوعي نفسه، ومهمة الناقد في كل الأزمنة هي الكشف عن هذا النقصان الذي انفلت من العقل الواعي.**

فرويد و عقدة الليبيدو

كان لجهود فرويد دور في تأسيس علم النفس الحديث، وقد ساعده في ذلك أصله اليهودي المنبوذ وتخصصه الطبي، نشر كتاب تفسير الأحلام ثم كتاب ثلاث مقالات في نظرية الجنس.

منذ ظهور جهود فرويد اكتشفنا اللاشعور وأعراض الكبت ومنطقة الهو العميقة، تأثر فرويد بالأدب وأثر فيه، واستعان بالشعر لتأويل الدلالات الرمزية في الأحلام، وإلى الديوان الشرقي لجوته لتفسير نماذج النرجسية، واستعان كذلك بالأدب اليوناني القديم ليأخذ منه مصطلحاته، ومثال ذلك عقدة أوديب وإروس وثاناتوس...

اعتبر فرويد الفنان شخص انطوائي له القدرة على إشباع رغباته المكبوتة الجنسية (ليبيدو – Libido) عن طريق الخيال بفضل قدرات خاصة يتمتع بها، وبهذا يتخلص من نوبات العصاب ويدعو المتلقين إلى التنفيس بفنه والتمتع بما تحرمه الثقافة والواقع .

- **في أعماق كل كائن بشري رغبات مكبوتة تبحث عن الإشباع في مجتمع قد لا يتيح له ذلك، ولما كان صعبا إخماد تلك الحرائق المشتعلة في اللاشعور، فالإنسان مضطر إلى إشباعها بكيفيات مختلفة كأحلام النوم واليقظة وهذيان العصابيين والأعمال الفنية.**
- **ويرى فرويد أن أعمال الأديب مشابهة لعالم اللعب عند الأطفال ولأحلام اليقظة التي يحيطها الانسان بكتمان شديد، فالروائي يعتني بشخصية البطل عناية خاصة ويميز شخصيته عن باقي الشخصيات ويشد بها نفس القارئ الذي يتابعها بإحساس مشابه، وما هذا البطل إلا صورة مكبوتة لشخصية الأديب منذ طفولته .**
- **يقول فرويد : « إن الشعراء والروائيين هم أعز حلفائنا، وينبغي لنا أن نقدر شهادتهم أحسن تقدير، لأنهم يعرفون أشياء بين السماء والأرض، لم تتمكن بعد حكمتنا المدرسية من الحلم بها، فهم في معرفة النفس شيوخنا، لأنهم يغرفون من منابعَ لم ينجح العلم بعد في الوصول إليها».**

حافز الموت عند فرويد

المشكلة الأولى التي واجهها فرويد كانت ظاهرة التكرار عند الصدمة النفسية لاحظ أن الموضوع غالبًا ما يميل إلى تكرار أو إعادة تلك التجارب المؤلمة وهذا يتناقض مع توقعات مبدأ اللذة.

وقد وجد فرويد إشكالية ثانية في لعب الأطفال مثل لعبة "جاءت/رحلت" التي كان يلعبها حفيد فرويد والذي كان سيقيم مرحلة اختفاء والدته.(الطفل يلقي الكرة بعيدًا ويقول "راحت"، تعود إليه الكرة مرة أخرى فيقول "جاءت". فيقول فرويد إن هذه اللعبة رمزية بالنسبة للطفل أسلوب التخلص من القلق حول غياب الأم، فهو عندما يلقي الكرة ويقول "راحت" فإنه يكرر تجربة الفقد للشئ الذي يحبه، وعندما يستعيد الكرة ويقول "جاءت" فإنه يستمتع بالإبقاء على هذه الأشياء).

المشكلة الثالثة جاءت من الممارسة السريرية، حيث وجد فرويد أن مرضاه الذين يتعاملون مع التجارب المؤلمة التي تم قمعها يجبرون على تكرار المواد المكبوتة كخبرة معاصرة بدلًا من تذكرها على أنها شئ يخص الماضي. هذه الأدلة قادت فرويد لتبرير فرضية "الإكراه على التكرار"، الأمر الذي يبدو أكثر بدائية وأكثر غريزة من مبدأ اللذة الذي يفرض فيه.

ففي طوية الإنسان — على رأي فرويد — دوافع ضارة به تهيئ له طريق الموت من حيث لا يشعر ولا يريد، ومرجع هذه الدوافع حنين المادة في كيانه إلى حالتها الأولى قبل الحياة!

ويرد عليه العقاد بقوله : الواقع أن المادة تحافظ على خصائصها هذه مع قوة الحياة كما تحافظ عليها مع كل قوة، وينبغي أن يقال إذن: إن غريزة الموت تعم الكون كله ما دامت للمادة هذه المقاومة، أو هذا القصور الذاتي مع كل طاقة، فمن أين جاءت الطاقة التي لا تحتويها المادة؟ وإلى أين ننتهي إذا نحن ذهبنا نتخبط في هذه التعليلات والتعميمات؟

أدلر وعقدة النقص

- خالف النمساوي مؤسس مدرسة علم النفس الفردي ألفريد أدلر Alfred Adler (ت 1937) أستاذه فرويد في تفسيره للعصاب والفن على أنه كبت جنسي، حيث رأى أدلر أن الشعور بالنقص هو السبب الرئيسي في نشأة العصاب، و الباعث الأساسي للأدب هو غريزة حب الظهور أو حب السيطرة والتملك، واهتم أدلر بدراسة التأثير الاجتماعي في تشكيل اللاشعور الفردي.
- ويرى أدلر أن الانسان مصاب بنوع ما من النقص، سواء كان هذا النقص عضويا أو وظيفيا أو ناشئا عن تربية أو وضعية اجتماعية معينة، وهذا الشعور يدفع صاحبه إلى إيجاد توازن وتلاؤم مع المجتمع وهنا يظهر التعويض بشكل من الأشكال، وعقدة النقص هنا ليست بيولوجية كما رآها فرويد بل هي عقدة نفسية روحية، سببها العوامل الثقافية، والفنان يبذل قصارى جهده للتغلب على نقصه، وبقدر معاناته بقدر ما يظهر إبداعه الفني.



يونغ واللاشعور الجمعي

- يرى السوسري كارل غوستاف يونغ (ت 1961) أن أستاذه فرويد بالغ في الاهتمام بالغريزة الجنسية، ووافقه في جعل اللاشعور منبعا للإبداع الفردي، وأضاف يونغ نوعا آخر سماه اللاشعور الجمعي، وعده المصدر الرئيس للإبداع الأدبي والفني، وهو منبع الأعمال الأدبية العظيمة لأنه يختزن خبرات الماضي وتجارب الأسلاف.
- إن دافع الابداع الفني عموما هو اضطراب اللاشعور الجمعي في فترات الأزمات الاجتماعية، مما يقلل من اتزان الحياة النفسية لدى منتج النص فيدفعه ذلك إلى محاولة الوصول إلى اتزان جديد معتمدا على عدد من الآليات المحققة للاتزان كالإسقاط والحدس.

مبادئ النقد النفسي

- ربط النص بلاشعور صاحبه.
- افتراض وجود بنية نفسية تحتية متجذرة في لاوعي المبدع تنعكس بصورة رمزية على سطح النص، ولا معنى لهذا السطح دون استحضار تلك البنية الباطنية.
- اعتبار الشخصيات في النص شخوص حقيقيون بدوافعهم ورغباتهم.
- النظر إلى المبدع على أنه شخص عصابي، وما نصه إلا عرض عصابي يتسامى بالرغبة المكبوتة في شكل رمزي مقبول اجتماعيا، يعبر الشاعر الرومانسي الإنجليزي اللورد بايرون (ت 1824) عن سعادته في هذا السياق قائلاً : "نحن في هذه المهنة جميعنا مجانين. بعضنا يتأثر بالفرح، والبعض الآخر بالحزن، ولكن كل شيء أكثر أو أقل جنوناً".

لذا يقال إن الأفراد المصابين بمرض عقلي لديهم القدرة على رؤية العالم بطريقة جديدة ومبتكرة حرفيا، ما يمكنهم من معرفة الأشياء التي لا يمكن للآخرين معرفتها.

العقد النفسية

العقد النفسية التي يتتبعها النقد النفسي في النص كثيرة نذكر منها :

1- السادية Sadisim: هي الحصول على اللذة والمتعة بتعذيب الاخرين.

2- المازوشية masochism: وتعني الحصول على المتعة عند تلقي التعذيب الجسدي أو النفسي.

3- النرجسية : اضطراب في الشخصية يتميز بالغرور، والتعالي، والشعور بالأهمية ومحاولة الكسب ولو على حساب الآخرين.

4- عقدة النقص: هي شعور الإنسان بالنقص أو العجز العضوي أو النفسي أو الاجتماعي بطريقة تؤثر على سلوكه.

5- عقدة أوديب : وهي عقدة نفسية تطلق على الذكر الذي يحب أمه ويتعلق بها ويغير عليها من أبيه فيكرهه، وهي المقابلة لعقدة إليكترا عند الأنثى.

جوانب للتحليل النفسي

- **ثلاثة جوانب للتحليل النفسي للعملية الإبداعية:**

1- يبحث الناقد في علائق اللاوعي بين الكاتب والقارئ.

2- يكشف الناقد مكبوتات الأديب اللاواعية ويستنتج أسلوبه في الكتابة، فالعلاقة بين الفنان وفنِّه مشابهة للعلاقة بين المريض وحلمه.

3- يستثمر الناقد في النص القصصي ليبحث عن أنماط اللاوعي التي تحرك الشخصية وتدفعها إلى أن تحدث رد فعل محير وغير قابل للتصديق.

النقد النفسي العربي

- يعد مصطفى سويف (ت 2016) من نقادنا الذين تأثروا بالنقد النفسي وذلك من خلال كتابه الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة 1959، وكتاب دراسات نفسية في الإبداع والتلقي 2000، ويفسر لنا مصطفى سويف الإبداع بأنه ولادة جديدة، وهو نشوء لحظية فورية تغمرنا بعد أن نكون قد قطعنا الصلة بين اللحظة الراهنة وبين الماضي، بل لا تتحقق إلا إذا أنكرنا الماضي لكي نستسلم لهذا الانجذاب الذي نلمح من خلاله المطلق واللامتناهي.
- وتبنى العقاد المنهج النفسي في دراسته النقدية وفضله على كل المناهج النقدية، وهدف الناقد عنده هو معرفته لنفس الشاعر وكيف يكون أثرها في كلامه وتأثيرها على نفوس الناس، من خلال رسم الصورة النفسية والجسدية واستنباط مفاتيح الشخصية، معتمدا على ظروف العصر والبيئة والنشأة و الثقافة، كما تتصل بهذه الظروف عوامل الاستعداد الموروث من جانب الأبوين، وعوامل الاستعداد الفطري من جانب تكوين الشخصية ذاتها، كالتكوين النفسي والخلقي والمزاجي، وكل هذه العوامل يتوسل بها الناقد للوصول إلى ملامح الصورة النفسية للمبدع.

- ومن النقاد السوري جورج الطرابيشي الذي دافع عن النقد النفسي دفاعا متطرفا، وذلك من خلال كتبه : أنثى ضد الأنوثة، الرجولة وإيديولوجيا الرجولة في الأدب العربي، عقدة أوديب في الرواية العربية...
- اللبناني خرستو نجم هو الآخر كان يرى أن التحليل النفسي للأدب هو الأصلح لكشف خبايا النص، ومهما كانت موضوعية العمل الفني فإنه يحمل بذور شخصية صاحبه، والمحلل النفسي يهمه المؤلف وقد أصبح نصا، من كتبه: النرجسية في أدب نزار قباني، الطبيعة والرغبات المكبوتة في شعر الأخطل الصغير، في النقد الأدبي والتحليل النفسي.
- محمد النويهي وكتابيه : شخصية بشار، نفسية أبي نواس.
- شاكر عبد الحميد وكتابه الأسس النفسية للإبداع الفني في القصة القصيرة.
- سامية الملة وكتابها : الأسس النفسية للإبداع الفني في المسرح.
- عز الدين إسماعيل في كتابه : التفسير النفسي للأدب.

عيوب النقد النفسي

- التركيز على ذات المبدع على حساب النص.
- المبالغة في ربط النص بلاوعي صاحبه واعتباره العلبة السوداء التي نجد فيها أسرار العمل الأدبي.
- التسوية بين النصوص الجيدة والرديئة، وربما تفضيل الرديء على الجيد عندما يكون أكثر تمثيلا للفرضيات السيكولوجية.
- الإفراط في التفسير الجنسي للرموز الفنية.
- التعسف في فرض بعض التأويلات النفسية على النصوص بغية تأكيد فرضية مسبقة.
- الاهتمام بالمضمون النفسي للنص (السلوكات والعقد)على حساب الشكل الفني، وقد أشار فرويد إلى هذا العجز وقال بأن الجانب الأدبي الفني ليس من اختصاصه.

وقد حاول الفرنسي شارل مورون (ت 1966) صاحب مصطلح النقد النفسي أن يفصل النقد الأدبي عن علم النفس، فالغاية ليست التحليل النفسي بل هو وسيلة نستعين بها في دراسة النصوص الأدبية.

مراجع المحاضرة

- شفيق بقاعي وسامي هاشم، المدارس والأنواع الأدبية.
- ويلبريس سكوت، خمسة مداخل إلى النقد الأدبي، ترجمة عناد غزوان اسماعيل وجعفر صادق الخليلي.
- ابن حلي عبد الله، الفكر الفرويدي وأثره في النقد العربي (أطروحة دكتوراه).
- جان بيلمان نويل، التحليل النفسي والأدب، ترجمة حسن المودن.
- عبدالله بن محمد المفلح، التفكير و اللغة و التفاعل النفسي.
- يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي.
- عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب.